المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الريـــاض - حـــي سلطـانة

التعليق على كتاب

حلية طالب العلم

للشيخ:

د. أحمد بن حمد الونيس

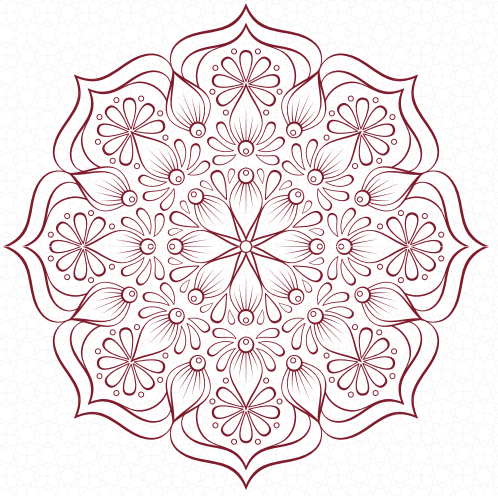

التعليق على حلية طالب العلم

برنامج دليل

المجلس الأول ١٤٤٦/٥/١٧هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليما كثيرا.

أما بعد فإني أحمد الله عَزَّوَجَلَّ وأشكره على ما يسَّر من إتمام المستوى الأول من هذا البرنامج: برنامج دليل للتأصيل العلمي، وبحمد الله جَلَّوَعَلَا قد أتمَّ الطلاب والطالبات -وعددهم ثلاثة وأربعون- قد أتموا حفظ ثلاثة متون، وهي القواعد الأربع وثلاثة الأصول وأركان الصلاة وشروطها وواجباتها، كلها للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- واختبروا في هذه المتون الثلاثة، واجتازوا الاختبار بتوفيق الله جَلَّوَعَلَا.

واليوم في هذا المستوى الثاني نبتدئ بمدارسة كتاب: حلية طالب العلم، للشيخ العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وسيكون إن شاء الله تعالى هذا الكتاب في أربعة مجالس، في كل مجلس يُقرَأ ما يُقارِب رُبع هذه الرسالة، مع التعليق المُختصر عليها، وذلك لوضوح كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم بعد ذلك نأخذ الكتاب الثاني وهو الأربعون النووية للنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع زيادات ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فالمجموع خمسون حديثا، ربما ننجزه

-إن شاء الله تعالى- في ستة مجالس أو سبعة مجالس، وهذه لا بد لطلاب هذا البرنامج من حفظها، وستكون الطريقة كما كانت في السابق، تراجعون ما يؤخذ في كل أسبوع، وتجيبون على الأسئلة ثم الاختبار في نهاية الفصل.

فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق وأن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً وأن يكون هذا العلم زلفى لنا للتقرب إلى ربنا جَلَّوَعَلَا وأن يكون سبباً لدخول جنته والنجاة من ناره.

وهذا الكتاب الذي بين أيديكم: حلية طالب العلم للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشيخ بكر وُلد سنة ١٣٦٤ للهجرة، وأخذ العلم عن أكابر العلماء في زمانه، ومن أبرز مشايخه الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى سنة ١٣٩٣ للهجرة، صاحب كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

وممن مشايخه أيضا سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والشيخ بكر تولى القضاء، ثم بعد ذلك انتقل إلى وزارة العدل وكيلا لها، وتولى رئاسة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ثم عُيِّن بعد ذلك عُضوًا في هيئة كبار العلماء وعُضوًا في اللجنة الدائمة للإفتاء، وله المؤلفات النافعة المفيدة.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٤٢٩ للهجرة.

هذه الرسالة تتعلق بآداب طالب العلم، فهي مهمة لمن يريد أن يسلك الطريق الصحيح في طلب العلم وأن ينتفع بالعلم الذي يأخذه، وكما ذكرت قبل قليل سوف تكون القراءة من هذه الرسالة والتعليق المختصر عليها، وإن ورد إشكال في أثناء هذه الرسالة فيمكن أن يدون وفي آخر الدرس إن شاء الله يفتح المجال للأسئلة.

الطالب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولجميع المسلمين.

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد، فأقيّد معالم هذه الحلية المباركة عام ١٤٠٨ هـ، والمسلمون – ولله الحمد – يعايشون يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط متقدمة إلى الترقي والنضوج في أفئدة شباب الأمة، مدها ودمها المجدد لحياتها، إذ نرى الكتائب الشبابية تترى يتقلبون في أعطاف العلم مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون، فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصراً، فسبحان من يحيي ويميت قلوباً.

لكن، لا بد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتها كافة، نشراً للضمانات التي تكف عنها العثار والتعصب في مثاني الطلب والعمل من تموجات فكرية، وعقدية، وسلوكية، وطائفية، وحزبية...

وقد جعلت طوع أيديهم رسالة في التعالُم تكشف المندسين بينهم خشية أن يردوهم، ويضيعوا عليهم أمرهم، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب، فيستلوهم وهم لا يشعرون.

واليوم أخوك يشد عضدك، ويأخذ بيدك، فاجعل طوع بنانك رسالة

تحمل « الصفة الكاشفة» لحليتك، فها أنا ذا أجعل سن القلم على القرطاس، فاتل ما أرقم لك أنعم الله بك عينا:

لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الأدب، ومكارم الأخلاق، والهدى الحسن، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام، وأن العلم - وهو أثمن درة في تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إما على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص، كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدّث، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا...

والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي.

وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حلق العلم آداب الطلب، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه، يدرس طلابه كتاب الزرنوجي المتوفى سنة ٥٩٣ للهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، المسمى: « تعليم المتعلم طريق التعلم».

فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد، وفي مواد الدراسة النظامية، وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تهذب الطالب، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم، وأدبه مع نفسه، ومع مدرسه، ودرسه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته.

فإليك حلية تحوي مجموعة آداب، نواقضها مجموعة آفات، فإذا فات أدب منها، اقترف المفرط آفة من آفاته، فمقل ومستكثر، وكما أن هذه

الآداب درجات صاعدة إلى السنة فالوجوب، فنواقضها دركات هابطة إلى الكراهة فالتحريم.

ومنها ما يشمل عموم الخلق من كل مكلف، ومنها ما يختص به طالب العلم، ومنها ما يدرك بضرورة الشرع، ومنها ما يعرف بالطبع، ويدل عليه عموم الشرع، من الحمل على محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ولم أعن الاستيفاء، لكن سياقتها تجرى على سبيل ضرب المثال، قاصداً الدلالة على المهمات، فإذا وافقت نفساً صالحة لها، تناولت هذا القليل فكثّرَته، وهذا المجمل ففصّلته، ومن أخذ بها، انتفع ونفع، وهي بدورها مأخوذة من أدب مَن بارك الله في علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم، جمعنا الله بهم في جنته، آمين).

في هذه المقدمة ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن له كتابا، وهو كتاب التعالُم، وهذا الكتاب يتعلق بمن يدعي أنه من أهل العلم وليس من أهل العلم، فهو كتاب مفيد لطالب العلم يراجَع ويُقرأ ويستفاد منه.

أيضاً ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الحلية اشتملت على جملة من الآداب ويقابلها آفات، فمن ترك أدبًا وقع في آفة، وهذه الآداب بعضها يكون مستحبًا وبعضها يكون واجبًا، فإذا ترك المستحب وقع في ما يخالفه وقد يكون مكروهًا، وإذا ترك الواجب وقع فيما هو محرم كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وأيضا هذه الآداب منها ما يعم كل مسلم كما سيذكر إن شاء الله تعالى من أدب الرفق والأناة والتثبت، هذه من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم، ومنها آداب يختص بها طالب العلم، كأدبه مع مشايخه وأقرانه وطريق التدرج في العلم ونحو ذلك.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الحلية مستفادة من كتب أهل العلم في آداب الطلب.

وذكر في الحاشية جملة من كتب آداب طالب العلم، فما تيسر لك أن تقرأه من هذه الكتب فإنك تستفيد وتبدأ بما كان منها مختصرًا ثم تترقَّى إلى ما هو أوسع، وذكر في المتن كتاب الزرنوجي الحنفي، وهو تعليم المتعلم طريق التعلم، وهو كتاب مطبوع ومفيد.

الطالب:

(الفصل الأول

آداب الطالب في نفسه

العلم عبادة:

أصل الأصول في هذه «الحلية» بل ولكل أمر مطلوب علمك بأن العلم عبادة، قال بعض العلماء: "العلم صلاة السر، وعبادة القلب".

وعليه، فإن شرط العبادة إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] **الآية.**

وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات» الحديث.

فإن فقد العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم مثل: الرياء؛ رياء شرك، أو رياء إخلاص، ومثل التسميع؛ بأن يقول مسمعًا: علمت وحفظت.

وعليه؛ فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب؛ كحب

الظهور، والتفوق على الأقران، وجعله سلمًا لأغراض وأعراض، من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية، أفسدتها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمى نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمى الحمى.

وللعلماء في هذا أقوال ومواقف بينت طرفًا منها في المبحث الأول من كتاب «التعالم»، ويزاد عليه نهى العلماء عن «الطبوليات»، وهى المسائل التي يراد بها الشهرة.

وقد قيل: «زلة العالم مضروب لها الطبل».

وعن سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه قال: "كنت أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصرة، سلبته".

فاستمسك رحمك الله تعالى بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب؛ بأن تكون – مع بذل الجهد في الإخلاص – شديد الخوف من نواقضه، عظيم الافتقار والالتجاء إليه سبحانه.

ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قوله: «ما عالجت شيئًا أشد على من نيتي".

وعن عمر بن ذر أنه قال لوالده "يا أبي، مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنى ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة، وفقك الله لرشدك، آمين).

هذا الأدب الأول، قال: العلم عبادة.

ولا شك أن العلم عبادة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بالعلم ونبينا ﷺ أمرنا به أيضا، وإذا كان مأمورا به فقد تقدم معنا أنه محبوب إلى الله، وما كان محبوبا

إلى الله فإنه عبادة، فإن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وتكلم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن إخلاص هذه العبادة لله سبحانه، ولا شك أن هذا أمر عظيم ينبغي أن يعتني به طالب العلم، فإن أول مَن تسعَّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، ومنهم رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرَفها، قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قيل له كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم سُحب على وجهه فأُلقي في النار.

نعوذ بالله، فهذا أمرٌ عظيم ينبغي أن يعتني به طالب العلم وأن يتابع نيته وأن يخلص عمله لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد يقول قائل: كيف يكون الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في طلب العلم؟

فيقال: إن هذا يكون بأمورٍ ينويها الطالب، أولها: أن ينوي بطلبه للعلم رفع الجهل عن نفسه.

وأن يرفع الجهل عن غيره، لأنه إذا تعلم فهو مأمور بأن يُعلم غيره وأن يدعو غيره إلى هذا العلم،

وينوي امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله ﷺ فإنهما أمرا بالعلم.

وينوي أيضا حفظ الشريعة، فإن الشريعة إنما تُحفظ بالعلم.

وينوي كذلك الذب عن الشريعة والدفاع عنها والرد على المخالفين إذا تأهل لذلك، فإن هذا لا يكون إلا بعلم.

فالمقصود أنه ينوي هذه النية الصالحة وبذلك يكون مخلصا في طلبه للعلم.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا نهي العلماء عن الطبوليات.

المراد بالطبوليات المسائل التي يراد بها الشهرة ولفت الأنظار إلى هذا المتكلم، فهذا مما ينهى عنه العلماء.

ذكر أيضا أثر سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: كنت أعطيت فهم القرآن فلما قبلت الصرّة سلبته.

الصرة يريد بها العطية من السلطان، والعطية من السلطان فيها تفصيل، إن كان السلطان يعطي العالم لأجل أن يفتيه بما يريد ولو كان ذلك مخالفاً لشرع الله عَزَّوَجَلَّ فلا يجوز له أن يأخذ شيئاً ولا يجوز له أن يجعل دينه مطيةً للدنيا.

وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَطِيَّةُ السُّلطَانَ لَا لِأَجْلِ ذَلِك فَيُجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا، والدليل على هذا ما روى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن عمر، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعْطِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الْعَطَاءَ، فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ: أَعْطِهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ» قَالَ سَالِمٌ: «فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ» رواه البخاري (٧١٦٤) ومسلم (١٠٤٥).

وذَكر الشيخ أيضا الأثر عن عمر بن ذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لوالده: يا أبي ما لك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.

هذا ونظائره من كلام السلف يُحمل على حث الناس على إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يُظن بالسلف أن الواحد منهم يقوله امتداحا لنفسه أو رياء أو نحو ذلك، فما يأتي عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وما يأتي عن التابعين وأئمة الدين من ثنائهم على أنفسهم أو إخبارهم ببعض أعمالهم الصالحة يُحمل على أحسن

المحامل، ومن المعلوم أن الإخبار بعمل الإنسان العمل الصالح إن كان يترتب عليه مصلحة فإنه سائغ، بل قد يكون مطلوبا، ودليله: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ، وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ، مَنْ دَخَلَهُ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَى الْبَلَاطِ، فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ آنِفًا، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمُ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ»، فَوَاللهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ، وَلَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلًا مُنْذُ هَدَانِي اللهُ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا، فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «عُثْمَانُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَرَكَا الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ» رواه أبو داود ٤٥٠٢، وصححه الألباني.

فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثنى على نفسه بقوله: والله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام. وقال: ولا قتلت نفسا. فهذا نوع من الثناء من عثمان -رضي الله تعالى عنه- على نفسه، لكن متى؟ عند وجود المقتضي، فثناء الإنسان على نفسه عند وجود المقتضي هذا سائغ.

الطالب:

(الخصلة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة: محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ وتحقيقها بتمحض المتابعة وقفو الأثر للمعصوم، قال الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

وبالجملة فهذا أصل هذه الحلية، ويقعان منها موقع التاج من الحلة، فيا أيها الطلاب ها أنتم هؤلاء تربعتم للدرس، وتعلقتم بأنفس علق، طلب

العلـم، فأوصيكم ونفسـي بتقوى الله تعالى في السـر والعلانيـة، فهي العدة، وهي مهبـط الفضائل ومتنـزل المحامد وهـي مبعث القوة ومعراج السـمو والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا).

هـذه الخصلـة الجامعة لخيـري الدنيا والآخرة، وهـي محبة الله جَلَّوَعَلَا ومحبة رسوله ﷺ، لكن ينبغي أن يُعلم أن محبة الله جَلَّوَعَلَا ومحبة رسوله ﷺ ليسـت دعوى، وإنما لا بدَّ فيها من ضابط يعرفه المرء، الضابط فيها أن تقدِّم ما يحبه الله ورسوله ﷺ على ما تحبه نفسك وما يحبه ولدك وما يحبه أهلك والنـاس أجمعون، كما جـاء هذا في الحديث «لا يؤمـن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»

وذكر أيضا الوصية بتقوى الله عز وجل، ومَن لزم تقوى الله تعالى جعل الله عَزَّوَجَلَّ لـه فرقانـا يفرق به بين الحق والباطل، ولذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في أول سـورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢]

فمن كان من أهل التقوى هداه الله عَزَّوَجَلَّ ووفقه.

ويقـول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُـوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]

وفي طبقـات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٠٢ قيل للإمام أحمد من نسـأل بعدك؟ فقال: سلوا عبد الوهاب، مثله يوفق لإصابة الحق.

وَفي سـير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢٣: قَالَ المَرُّوْذِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: عَبْدُ الوَهَّابِ الوَرَّاقُ: رَجُلٌ صَالِحٌ، مِثْلُهُ يُوَفَّقُ لإِصَابَةِ الحَقِّ.

فـإذا اجتمع في المرء علـم وتقوى حصل له الخير العظيم ووفقه الله عَزَّوَجَلَّ في فتاويه وفي تأليفه وفي تعليمه.

الطالب:

(كن على جادة السلف الصالح:

كن سلفيًا على الجادة، طريق السلف الصالح من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فمَن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين، من التوحيد، والعبادات، ونحوها، متميزاً بالتزام آثار رسول الله ﷺ وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال، والمراء، والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إلي من علم الكلام.

قلت: لم يدخل الرجل أبدا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًا" اهـ.

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة المتبعون آثار رسول الله ﷺ وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

"وأهل السنة: نقاوة المسلمين، وهم خير الناس للناس" اهـ.

فالزم السبيل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]).

هذا فيه الحث على لزوم جادة السلف الصالح.

والسلف الصالح هم أصحاب القرون المفضلة، كما جاء في الحديث «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

ولزوم طريقة السلف من جهة فهم الكتاب والسنة، فنحن نفهم القرآن الكريم ونفهم سنة النبي ﷺ على ضوء فهم سلف الأمة، فأي فهم للقرآن

أو فهم لسنة النبي ﷺ يُخالِفُ فَهْمَ السَّلَفْ فإنَّهُ مُطّرَح، ولهذا دخلَت البدع عند المتأخرين من هذا الباب، ربما فهموا من الكتاب والسنة شيئًا من العبادات لم تُعرف عند سلف الأمة، ومن أمثلة ذلك: المولد، فقد احتج له بعض المتأخرين بأدلة من سنة النبي ﷺ، لكن هل هذا الفهم، من السنة فهِمه السلف؟ نقول لا.

كيف عرفنا أنه لم يفهمه السلف؟ لأن المولد لم يُعرف إلا في منتصف القرن الرابع، إذن لا بد من العناية بفهم سلف الأمة.

وفي كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حث على اجتناب طريقة أهل البدع وطريقة أهل الكلام ولزوم ما عليه السلف الصالح من العناية بالنصوص الشرعية وتعظيمها وتقديمها على العقل، لأن بعض أهل البدع يغلون في العقل، فإذا تعارض مع النقل قدموا العقل على النقل وهذه جادة باطلة ليس عليها سلف الأمة.

الطالب:

(ملازمة خشية الله تعالى:

التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى محافظة على شعار الإسلام وإظهار السُنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها دالا على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحليا بالرجولة والمساهلة والسمت الصالح، ومِلاك ذلك: خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أصل العلم خشية الله تعالى، فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم.

ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملًا، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسند الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بسند فيه لطيفة إسنادية برواية آباء تسعة فقال:

أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن زيد بن عُكينة بن عبد الله التميمي من حفظه قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»

ا.هـ كلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

وهذا اللفظ بنحوه مروي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

ملازمة خشية الله عَزَّوَجَلَّ هذا أمر مهم لطالب العلم، ولهذا قال بعض السلف: العلم خشية الله.

فإذا كان العلم لا يدعوك إلى خشية الله والخوف منه والعمل بما تعلمت فراجع نفسك وانتبه قد يوجد عندك أمر خفي من نية فاسدة أو حب محمدة أو نحو ذلك.

فالسلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ حثوا على أن يعمل العالم بعلمه، كما في هذا الأثر عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل».

وأنت إذا تعلمت العلم ولم تعمل به وأعني بذلك العلم الذي يترتب عليه عمل، مثل ما مر معنا في أركان الصلاة وشروطها وواجباتها، هذا علم يترتب عليه عمل، فإذا لم تعمل به فإنه يذهب ويزول، بخلاف العلم الذي تعمل به، ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كتبت حديثا إلا وعملت به، حتى حديث:

«أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام دينارا» قال: فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارا. فطالب العلم إذا عمل بالحديث ثبت في قلبه، فحريٌّ بطالب العلم أن يجتهد أن يتعلم ليعمل.

وإذا كان العلم لا يتعلق به عمل وإنما يتعلق به اعتقاد فكذلك يعتقد ما تعلمه بحيث ينتفع بهذا العلم الذي تعلمه، حتى لا يكون العلم وبالاً عليه ويحاسب عليه يوم القيامة.

الطالب:

(دوام المراقبة:

التحلي بدوام مراقبة لله تعالى في السر والعلن سائرا إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر، فأقبل على الله بكليتك وليمتلئ قلبك بمحبته ولسانك بذكره والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحِكمه سبحانه).

المراقبة يدل لها حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فأجابه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وعرفنا أن الإحسان له كم مرتبة؟ الإحسان ركن واحد، لكن كم مرتبة؟ له مرتبتان، المرتبة الأولى في قوله في الجملة الأولى: «أن تعبد الله كأنك تراه» هذه تسمى مرتبة المشاهدة، تعبد الله كأنك تراه.

والمرتبة الثانية أقل منها وهي مرتبة المراقبة، وهي في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ولا شك أن من يعبد الله على الإحسان يدعوه هذا إلى إحسان العمل ظاهرا وباطنا .

الطالب:

(خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء:

تحلّ بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق، وسكون الطائر من الوقار والرزانة وخفض الجناح متحملا ذل التعلم لعزة العلم، ذليلا للحق.

وعليه، فاحذر نواقض هذه الآداب فإنها مع الإثم تقيم على نفسك شاهدا على أن في العقل علة، وعلى حرمان من العلم والعمل به، فإياك والخيلاء فإنه نفاق وكبرياء، وقد بلغ من شدة التوقي منه عند السلف مبلغا، ومن دقيقِه ما أسنده الذهبي في ترجمة عمر بن الأسود العنسي المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، سئل عن ذلك فقال: مخافة أن تنافق يدي.

قلت: يمسكها خوفا من أن يخطر بيده في مشيته فإن ذلك من الخيلاء.

انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا العرض عرض للعنسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

واحذر داء الجبابرة، الكبر، فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنبٍ عصي الله به، فتطاولك على معلمك كبرياء، واستنكافك عما يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر وعنوان حرمان.

العلم حربٌ للفتى المتعالي •• كالسيل حربٌ للمكان العالي

فالزم رحمك الله اللصوق إلى الأرض والإزراء على نفسك وهضمها ومراغمتها عند الاستشراف لكبرياء أو غطرسة أو حب ظهور أو عجب ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له المذهبة لهيبته المطفئة لنوره.

وكلما ازددت علما أو رفعة في ولاية فالزم ذلك تُحرز سعادة عظمى ومقاما يغبطك عليه الناس.

وعن عبد الله ابن الإمام الحجة الرَّاوية في الكتب الستة بكر بن عبد الله المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال: سمعت إنسانا يحدث عن أبي أنه كان واقفا بعرفة فرقّ فقال: لولا أني فيهم لقلت قد غُفر لهم.

خرّجه الذهبي ثم قال: قلت كذلك ينبغي للعبد أن يزري على نفسه ويهضمها.

انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء هذا داخل في العمل بالعلم كما تقدم، فإنه يتعلم في نصوص الكتاب والسنة ما يدعوه إلى التواضع، وألا يكون متكبرا فإذا عمل بذلك انتفع، وإذا ترك العمل بهذا العلم حصل له ما يناقضه ويقابله، وهو الخيلاء والكبرياء عياذا بالله، وهذه من كبائر الذنوب، يعني الإخلال بالتواضع والوقوع في الكبرياء هذا يوقع طالب العلم في كبيرة من كبائر الذنوب عياذا بالله.

الطالب:

(القناعة والزهادة:

التحلي بالقناعة والزهادة، وحقيقة الزهد: «الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماه، بالكف عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس".

ويؤثر عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

"لو أوصى إنسان لأعقل الناس، صُرف إلى الزهاد".

وعن محمد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لما قيل له: ألا تصنف كتابا في الزهد؟ قال: "قد صنفت كتاباً في البيوع"

يعني: "الزاهد من يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف" ا هـ.

وعليه، فليكن معتدلاً في معاشه بما لا يشينه، بحيث يصون نفسه ومن يعول، ولا يرد مواطن الذلة والهون.

وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي المتوفى في / ١٣٩ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله: "لقد جئت من البلاد – شنقيط – ومعي كنز قل أن يوجد عند أحد، وهو القناعة، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية".

فرحمه الله تعالى رحمه واسعة آمين).

القناعة: أن يقنع الإنسان بما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ وهذه خصلة عظيمة ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتاه».

وقوله: الزهادة، الزهد هو أن يترك ما لا ينفعه في الآخرة، وأما الورع فهو أن يترك ما يضره في الآخرة،

أيهما أعلى مقاما الورع أو الزهد؟

الزهد أعلى مقاما من الورع، فالورع: أن يترك الحرام ويفعل الواجب. أما الزهد فزياد على ذلك يترك بعض الأمور المباحة التي لا ينتفع بها في الآخرة،

يعني بعض اللهو المباح وإشغال نفسه في أشياء مباحة، هذه لا تنفعه في الآخرة، فكونه يتركها ويشتغل بشيء ينفع في الآخرة نقول هذا زهد.

الطالب:

(التحلي برونق العلم:

حُسن السمت والهَدي الصالح، من دوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع ولزوم المحجة بعمارة الظاهر والباطن والتخلي عن نواقضها.

وعن ابن سرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال: كانوا يتعلمون الهديَ كما يتعلمون العلم.

وعن رجاء بن حيوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه قال لرجل: حدثنا ولا تحدثنا عن متماوت ولا طعان.

رواهما الخطيب في الجامع وقال: يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذُّل في المجالس بالسخف والضحك والقهقهة وكثرة التنادر وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفه والذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر فإنه مذموم.

وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر ويزيل المروءة.

انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد قيل: من أكثر من شيء عُرف به.

فتجنب هاتيك السقطات في مجالستك ومحادثتك.

وبعض من يجهل يظن أن التبسط في هذا أريحية.

وعن الأحنف بن قيس قال: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه.

وفي كتاب المحدَّث الملهَم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القضاء: ومن تزين بما ليس فيه: شانه الله.

وانظر شرحه لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.)

يعني رَحِمَهُ اللَّهُ أن طالب العلم يتحلى بسمت أهل العلم وهدي أهل العلم، ويتجنب المجالس التي لا تليق بأهل العلم، ومن ذلك ما ذكر من المزاح والضحك والسخف ونحوها.

وهنا أُنبّه إلى أن المزاح ثبت في سنة النبي ﷺ، ومن ذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا».

ولكن العلماء يقولون: إن المزاح يجوز بثلاثة شروط، إذا اختلّ منها شرط أصبح المزاح محرمًا، وهذه الشروط أولها: أن يكون المزاح بحق لا بباطل، كما لو كان المزاح بكذب كما يحصل من كثير من الناس اليوم، ودليل هذا الشرط الحديث المتقدم «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا».

وتسمعون بالنكت، يقولون فلان عنده نكتة، ما هي النكتة؟ كلام مختلق أم لا؟ نهم هو كذب، وفي الحديث: «ويل للذي يحدِّث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ثم ويل له».

وإذا ورد في الحديث لفظ: ويل له. هذا يدل على أن الفعل من كبائر الذنوب، ففيه وعيد خاص، والناس تساهلوا في هذا.

والشرط الثاني: أن يكون المزاح يسيرا لا كثيرا ويدل له قول النبي ﷺ «ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب». فإذا تأملت فيما ورد من

الأحاديث في مزاحه ﷺ لوجدتها أحاديث قليلة، فمزاحه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان قليلاً، كذلك إذا أردت أن تمزح يا طالب العلم فليكن مزاحك قليلاً.

الشرط الثالث: ألا يغضب الممزوح معه، فإن كان من يُمزح معه يغضب فلا يجوز، لأن أذية المسلم محرمة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]

إذا توفرت هذه الشروط الثلاثة جاز المزاح وإن تخلف منها شرط واحد أو أكثر فهو محرم.

الطالب:

(تحلَّ بالمروءة:

التحلِّي بالمروءة وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقة الوجه وإفشاء السلام وتحمل الناس والأنفة من غير كبرياء والعزة في غير جبروت والشهامة في غير عصبية والحمية في غير جاهلية.

وعليه فتنكّب خوارم المروءة في طبع أو قول أو عمل، من حرفة مهينة أو خلة رديئة كالعجب والرياء والبطر والخيلاء واحتقار الآخرين وغشيان مواطن الريب).

المروءة تعريفها: هي فعل ما يجمله ويزينه واجتناب ما يدنسه ويشينه.

وأولى الناس بأن يكونوا من أهل المروءة هم طلاب العلم، وطالب العلم إذا عمل بما تعلمه من العلم في الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- فلا شك أنه سوف يكون من أهل المروءة.

***

الطالب:

(التمتع بخصال الرجولة:

تمتع بخصال الرجولة من الشجاعة وشدة البأس في الحق ومكارم الأخلاق والبذل في سبيل المعروف حتى تنقطع دونك آمال الرجال.

وعليه، فاحذر نواقضها من ضعف الجأش وقلة الصبر وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم وتقطع اللسان عن قولة الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه في حالة تلفح بسمومها في وجوه الصالحين من عباده).

أنبّه إلى أن هذا الكتاب وأمثاله من كتب آداب طالب العلم يخاطب به الرَّجُلُ والمرأة ممن يطلُب العلم؛ لأن هذا هو الأصل فيما يرد في الشرع أن يُخاطَب به الرَّجُلُ والمرأة على السَّواء، إلا أن يأتي دليلٌ يخص الرَّجُل بحكمٍ دون المرأة أو دليلٌ يخص المرأة بحكمٍ دون الرَّجُل، وإلا فالأصل تساوى الرِّجال والنِّساء في الأحكام.

الطالب:

(هجر الترفّه:

لا تسترسل في التنَعُّم والرفاهية، فإن البذاذة من الإيمان، وخذ بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه المشهور، وفيه: وإياكم التنعم وزيّ العجم وتمَعدَدوا واخشوشنوا.

وعليه، فازورَّ عن زيف الحضارة فإنه يؤنِّث الطِّباع ويرخي الأعصاب ويقيِّدك بخيط الأوهام، ويصل المُجدُّون لغاياتهم وأنت لم تبرح مكانك مشغولٌ بالتأنُّق في ملبسك، وإن كان منها شياتٌ ليست محرما ولا مكروها، لكن ليست سمتًا صالحًا.

والحليـة في ظاهـر اللباس عنوانٌ على انتماء الشـخص، بـل تحديدٌ له، وهل اللباس إلا وسـيلة من وسـائل التعبير عن الذات فكن حذرًا في لباسك لأنـه يعبـر لغيرك عن تقويمـك، في الانتماء والتكوين والـذوق، ولهذا قيل: الحلية في الظاهر تدل على ميل في الباطن.

والناس يُصنِّفونك من لباسك، بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابـس من الرصانـة والتعقـل، أو التمشـيخ والرهبنـة، أو التصابي وحب الظهور، فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشـينك، ولا يجعل فيك مقالا لقائل ولا لمـزا للامز، وإذا تلاقى ملبسـك وكيفية لبسـك بما يلتقي مع شـرف ما تحمله من العلم الشرعي: كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحُسن نيتك يكون قربة، إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق.

وفي المأثـور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحب إليّ أن أنظر القارئ أبيض الثياب ليعظم في نفوس الناس فيعظم في نفوسـهم ما لديه من الحق.

والنـاس كما قال شـيخ الاسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كأسـراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.

فإياك ثم إياك من لباس التصابي.

أما اللباس الإفرنجي فغير خاف عليك حكمه.

وليـس معنى هذا أن تأتي بلباس مشـوّه، لكنه الاقتصاد في اللباس برسـم الشـرع، تحفّه بالسمت الصالح والهدي الحسـن، تطلب دلائل ذلك في كتب السـنة والرقاق، ولا سـيما في الجامع للخطيب، ولا تستنكر هذه الإشارة، فما زال أهل العلم ينبهون على هذا في كتب الرقاق والآداب واللباس، والله أعلم).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هجر الترفُّه، ذكر تحته حديث «البذاذة من الإيمان».

هـذا الحديث خرجه أبو داود في سـننه، عَـنْ أَبِي أُمَامَـةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْـمَعُونَ، إِنَّ الْبَـذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَـانِ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَـانِ» يَعْنِي التَّقَحُّلَ. رواه أبو داود ٤١٦١، وصححه الألباني.

ومعنـى الحديـث «إن البذاذة مـن الإيمان» المراد تـرك المبالغة في التأنق في الملبس ونحوه، وليس المقصود بالحديث أن الإنسـان يلبس ثيابًا متسـخة أو بهيئـة معيبة أو نحـو ذلك، فإن النبي ﷺ لما قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّةٍ من كِبر» فقال رجلٌ يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسـنًا ونعله حسـنة فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكبرُ بطرُ الحق - يعني رد الحق - وغمطُ الناس - أي احتقارهم -».

فاللباس الحسن ليس مقصودا بكلام الشيخ هنا ولا بالحديث الذي تقدم، إذن المقصـود بالحديـث «إن البذاذة من الإيمان» أي ترك المبالغة في التأنق في اللبـاس كما يحصل من بعض النـاس، هذا ما يليق بالمؤمـن ولا يليق بطالب العلم أيضا، وإنما يلبس كما قال الشـيخ لباسـا حسنا لا يعاب به، لكن من غير تكلف ومن غير تأنق زائد عن المعتاد.

ثـم إن الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر ما يتعلـق باللباس الإفرنجي يريـد بذلك لباس الكفار، وهذه مسـألة تتعلق بالتشـبه، وقد روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال «من تشبه بقوم فهو منهم»

وهذا حديث إسناده جيد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: (بقوم) كلمة (قوم) نكرة في سياق الشرط، فتفيد العموم، فالحديث

يعم الكفار والمشركين والمبتدعة والفساق من المسلمين، كل هؤلاء أنت منهي عن التشبه بهم.

والتشبه بالكفار في اللباس فيه تفصيل، إن كان لباس الكفار يختص بهم ولا يلبسه المسلمون فيحرم على المسلمين أن يلبسوا لباس الكفار هذا، ويكون هذا داخلا في التشبه.

وأما إذا كان لباس الكفار لا يختص بهم بل يلبسه الكفار ويلبسه المسلمون فهذا لا يكون من لبسه متشبها بالكفار.

من أمثلة ذلك الآن: لبس البنطال، في أزمنة ماضية ما كان يلبسه المسلمون، المسلمون يعرفون السراويل لا يعرفون البنطال، لكن انتشر الآن البنطال يلبسه المسلمون والكفار، فأصبح ليس خاصا بهم، فإذا لبس المسلم بنطالا لا يقال في حقه إنه قد تشبه، ولكن قد يأتي التحريم من وجه آخر من جهة كونه ضيقا أو كونه من حرير أو كونه مثلا يكشف شيئا من العورة أو كونه فيه إسبال أو نحو ذلك من المحرمات المعروفة الأخرى، لكن لا يرد عليه أن يكون تشبها.

الطالب:

(الإعراض عن مجالس اللغو:

لا تطأ بساطة من يغشون في ناديهم المنكر ويهتكون أستار الأدب متغابيا عن ذلك، فإن فعلت ذلك فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة).

اللغو على قسمين:

لغو ليس محرما، يعني ليس فيه نفع ولا ضر، هذا لغو ينبغي أن يتنزه عن طالب العلم.

ولغو محرم، كأن يكون فيه سباب ونحو ذلك من المحرمات فيحرم على طالب العلم أن يجلس هذه المجالس، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]

فلا يليق بطالب العلم أن يجلس في مكان فيه لغو أو فيه منكر، إن كان فيه منكر فحينئذ إن أمكنه أن ينكر المنكر وأن ينصح بالأسلوب المناسب ويزول المنكر فيبقى ويكون قد أدى الواجب في إنكار هذا المنكر وحينئذ لا حرج أن يبقى في هذا المجلس، أما إذا كان لا يمكنه إزالة المنكر، أو أنكر فلم يُسمع منه: فالواجب عليه أن يفارق المكان؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠]

فالجلوس في مكان فيه منكر لا يجوز، والنبي ﷺ يقول «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر».

وهذا محرم على كل مسلم، ويتأكد في حق طالب العلم؛ لأنه إذا جلس مع أهل المنكر يقولون: جلس معنا الشيخ فلان أو طالب العلم فلان وما أنكر علينا، فيحتجون على باطلهم بعدم إنكار أهل الخير عليهم، فلا يجوز أن يبقى إلا في حال ضرورة أو تعارض مصالح، وهذا قد يكون في أحوال ضيقة، لكن الأصل أن لا يبقى في هذا المكان.

***

الطالب:

(الإعراض عن الهيشات:

تصوّن من اللغط والهيشات؛ فإن الغلط تحت اللغط، وهذا ينافي أدب الطلب.

ومن لطيف ما يُستحضر هنا ما ذكره صاحب الوسيط في أدباء شنقيط، وعنه في معجم المعاجم:

أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالما، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى، فقال الشيخ باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه، فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب.

فقال: بل لم يخلُ منه كتاب.

فقال القاضي: هذا القاموس، يعني أنه يدخل في عموم كتاب.

فتناول صاحب الترجمة القاموس، وأول ما وقع نظره عليه: والهيشة الفتنة وأمّ حُبين، وليس في الهيشات قوَد، أي في القتيل في الفتنة لا يُدرى قاتله.

فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج.

انتهى ملخصا).

الهيشات هي رفع الأصوات وكثرة المنازعات والخصومات، وهذا مما لا يليق بطالب العلم.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة ذكرت في معجم المعاجم، وهو أنه قد وقع نزاع بين قبيلتين وحصل في هذا النزاع قتل، ومن المعلوم أن القتل الذي يحصل في الفتنة ليس فيه قَوَد، أي ليس فيه قصاص.

فحكَّموا عالما بينهم فظهر له أن يُقتل أربعة من قبيلة بأربعة قُتِلوا من قبيلة، فلما بلغ ذلك أحد المشايخ وهو الشيخ باب بن أحمد قال: مثل هذا لا قِصاص فيه.

وهذا هو الحق الذي يذكره العلماء، أن القتال في الفتنة ليس فيه قِصاص.

فقال القاضي: إن هذا الحكم الذي حكمت به أنه لا قصاص هذا لا يوجد في كتاب، فأجابه ذلك العالم فقال: بل هو في كل كتاب، و (كل) من ألفاظ العموم، فأي كتاب كان يوجد فيه هذا الحكم.

فقال له يريد أن يفحمه: هذا القاموس.

القاموس للفيرزآبادي، وهو كتاب في اللغة، كيف يوجد فيه حكم فقهي في هذه المسألة التي تتعلق بالجنايات؟ قد يُستبعد، قال بل فيه، ففتح الكتاب ووجد الكلام على معنى الهيشة في اللغة، فقال: وليس في الهيشات قود. وذلك أن علماء اللغة قد يذكرون بعض الأحكام الفقهية في أثناء كلامهم على بعض المسائل، وهذا موجود في مثل لسان العرب، تجده أحيانا يذكر بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بهذه المفردة التي يتكلم عنها.

الطالب:

(التحلي بالرفق:

التزم الرفق في القول، مجتنبا الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة).

التحلي بالرفق هذا دلت عليه عدة نصوص قال النبي ﷺ «الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه».

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعائشة: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله».

فينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالرفق وأن يتحلى بالتأنّي ولا يكون عجِلا يستخفه الناس.

الطالب:

(التأمل:

التحلي بالتأمل، فإنما مَن تأمّل أدرك، وقيل: تأمل تُدرك، وعليه فتأمل عند التكلم بماذا تتكلم وما هي عائدته، وتحرّز في العبارة والأداء دون تعنّت أو تحذلُق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين، وهكذا).

التأمل يعني التأني قبل أن تتكلم وقبل أن تتصرّف في أي شيء، لا تكن عجلا، وكم من كلمة تكلّم بها المرء ثم ندم، أو تصرف تصرفا ثم ندم.

والتأمل كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكون قبل أن يتكلم، إذا كان مؤهلا للفتوى فيتأمل في السؤال ويتأمل أيضا في الجواب قبل أن يجيب حتى يصيب الصواب في جوابه وفي فهمه.

ومما ينبه عليه أيضا هنا أن طالب العلم يُقِل من الكلام، لقول النبي ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما أُثِر عنه أنه كان لا يخُوض فيما يخُوض فيه الناس من الكلام، فإذا ذكر العلم نطق.

وهكذا ينبغي لطالب العلم إذا جلس مع الناس في مجلس وخاضوا فيما يخوضون فيه لا يخوض معهم فيما يخوضون، وإنما يتكلم بعلم وبما ينفع الناس من توجيه أو نصح أو تذكير ونحو ذلك.

الطالب:

(الثبات والتثبت:

تحلّ بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه الصبر والثبات في التلقي وطيّ الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن من ثبت نبت).

هذا مهم جدا لطالب العلم أن يثبت في طريق الطلب وأن يصبر وأن يجاهد نفسه حتى يحصل ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ له أن يحصل من هذا العلم، وذلك أن بعض طلاب العلم يمكن أن نسميه ذواقا، يحضر اليوم في هذا الدرس أو غيره أياما معينة ثم يكل ويمل فينتقل إلى درس آخر ويحضر أسبوعين ثلاثة أو شهر أو نحوه ثم يمل وينتقل إلى درس ثالث، هذا ما يستفيد، أيضا في قراءة الكتب أو في حفظ المتون يبدأ بحفظ متن وربما يصل إلى ربعه أو نصفه ثم يكل ويتركه، ما يثبت، أو يقرأ كتابا قرأ منه مائة صفحة ثم يمل ويتركه ويفتح كتابا آخر ويبدأ يقرأ فيه ثم يتركه، وهكذا، إذا نظرت إلى حاله وجدته لم ينتهِ من كتاب ولم ينتهِ من متن ولم ينتهِ من درس، هذا ما ينتفع ولا يستفيد، ولهذا ذكر الشيخ هذه الكلمة العظيمة المفيدة، قال: من ثبَت نبَت.

قبل أن تُقدم لا بد أن تسأل ما المناسب لك من المتون، ومن هو الشيخ الذي تأخذ عنه، فإذا وجدت أنه مناسب بدأت في الأخذ عنه وقرأت هذا المتن أو حفظته ثم تستمر، لا تنقطع وتتنقل من هنا وهنا فإنك لا تستفيد.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.